تأثير اللغة العربيّة في اللغات الأخرى وأثر ذلك في حوار الحضارات والتقاء الثقافات

عبد العزيز بن حميد الحميد

مدخل:

عند النظر في تاريخ العربيّة عبر العصور نشهد تطوّراً جليّاً مرّت به، ابتداءً بما كانت عليه في العصر الجاهلي، ثمّ بزوغ شمس الإسلام، وما أصابها من تغيّراتٍ تأثّراً بما جاء به الإسلام، ثمّ مروراً بالعصور الإسلاميّة المتوالية، حتى عصرنا الحاضر. كانت العربيّة في تلك العصور تساير التقدّم الحضاريّ والعلميّ الذي شهده المجتمع العربيّ، فكانت تلبّي حاجاتِ أهلها في حقول العلوم المختلفة، والتعبير عن حاجاتهم في كلّ مناحي الحياة.

وكما كانت العربيّة أداةً للتواصل بين متكلّميها، فقد كانت أداةً لنقل المعرفة إلى اللغات الأخرى، وكانت أداةً للتواصل الداخليّ بين العرب، والخارجيّ بينهم وبين الأمم الأعجميّة.

أحاول هنا الكشفَ عن إسهامات العربيّة في التقدّم الحضاريّ مع تأثيرها في اللغات الأخرى، وهو ميدان واسع يصعب حصر جوانبه في مثل هذا البحث المختصر، لكنّ المراد هنا هو الكشف العامّ عن مظاهر هذا التأثير، وما أسهم به في مسيرة الحضارة والعلوم عبر العصور، وهو مظهرٌ من مظاهر **حوار الحضارات والتقاء الثقافات**.

العربيّة أداةٌ للتواصل الحضاري:

كان للعربيّة أثر كبير في صلات العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى، ففي السفارات بين العرب وغيرهم يأتي ذكر أول مبعوث عربي إلى الصين أرسله عثمان بن عفان رضي الله عنه عام 32هـ وحمل معه هدايا لإمبراطور الصين، وقد أحصى المؤرّخون عدد البعثات العربيّة إلى الصين طيلة الدولة الأمويّة فبلغت ست عشرة بعثة، وهو دليل على كون اللغة العربيّة أداةً للتواصل بين أولئك السفراء ومن يتحدّثون معهم من تلك البلاد[1].

ذكر المستشرق الفرنسي أرنست رينان (1823–1892هـ) أن **العربيّة كانت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اللغة المشتركة للمسلمين والمسيحيين واليهود في إسبانيا**، فقد كانت لغة التواصل بين أصحاب الديانات الثلاث، وذكر أنّ ثقافة اليهود الأدبيّة في القرون الوسطى كانت صورة للثقافة الإسلاميّة، وعند ترجمة اليهود المؤلفات العربيّة إلى العبريّة احتفظوا بالكلمات العربيّة أو أتوا بمقابلاتها العبريّة من المصدر اللغوي نفسه، أي أنهم قلّدوا النصّ ولم ينقلوه[2].

من عظمة الحضارة العربيّة إشعاعها الواسع على كثير من أمم الأرض، وتأثيرها البالغ على كثير من الحضارات، وهي وإن لم تكن مُنْبَتَّةً عن الحضارات السابقة لكنّها استطاعت

استثمارها وطبعها بطابعها الخاص، ولعل **برنارد لويس** أحسنَ في التعبير عن هذه النقطة بقوله عن الحضـــارة العربيّة: "ولم يأتِ العرب بها معهم من الصـــحراء جاهزة، لكنْ خلَقَها بعد الفتوح تعاونُ أممٍ عديدة من عرب وفرس ومصـريين وغيرهم، بل لم تكن إسـلاميّة خالصـة، إذ كان بين مبدعيها نصـــارى ويهود وزرادشـــتيّون كثيرون، **إلا أن أداة التعبير الرئيســـيّة فيها كانت اللغة العربيّة**، كما أنّ الإسلام ونظرته إلى الحياة سيطرا عليها، وكان هذان الشيئان، أي اللغة والدين، أعظم ما قدم العرب الفاتحون إلى الحضارة الجديدة الأصيلة التي نَمَتْ تحت لوائهم"[3].

وقال في موضع آخر مؤكّداً على أنّ الحضارة العربيّة لم تكن ناقلةً من الحضارات السابقة دون أثرٍ لها، بل مبدعةً من جديد، قال :"ولم تكن الحضـارة الإسـلاميّة، رغم تنوّع أصـولها هذا، مجرد تجميع آليّ للثقافات القديمة، بل هي بالأحرى خلقٌ جديدٌ انبثّت فيه جميع هذه العناصـــر لتكون حضـارة جديدة أصـيلة، وذلك بأن انتقلت إلى صـور عربيّة إسـلاميّة، وهذه العمليّة سـمةٌ مميّزةٌ لكل مرحلة من مراحل تطوّر هذه الحضارة"[4].

انتساب العلماء للبلاد الأعجميّة مظهر من مظاهر التقاء الحضارات:

في الدولة الإسـلاميّة الواسـعة التي ضـمّت ممالك غير عربيّة كانت العربيّةُ اللغةَ الرسـميّةَ فيها، فهي وسيلة التواصل بين الدولة وبقيّة السكّان، وأسهم هذا في انتشارها في تلك البلاد، وتعلّم كثير من أهلها علومَها لحاجتهم إلى معرفتها، ولعلّ ممّا يؤكد هذا أنّ علماء المسـلمين في بعض العلوم، ومنها علوم العربيّة، كان كثيرٌ منهم ينتسـب إلى بلاد أعجميّة فتحها المسـلمون، كالرازيّ، والسجستانيّ، والنيسابوريّ، وغيرهم كثير، سواء كان هذا الانتساب بسبب استيطان العالم العربيّ بلداً أعجميّاً فنُسب إليه، أو لكون العالم من أصـل أعجميّ ينتسـب إلى بلده، ولدراسته العربيّةَ فقد كسر حاجز العُجْمة وتعلّمها حتى أتقنها، ثمّ أسهم في تدوين علومها وتقعيدها.

وانتســاب العالم إلى بلد أعجميّ دليلٌ على اسـتيعاب الحضـارة الإسـلامية كل الشـعوب والقوميّات، فلم تفرّق بين عربيٍّ وأعجميّ، بل صـــاغتهم في قالبها ونســـبتهم إليها، ولذا فكل إنجازاتهم العلميّة تُنســـب إلى هذه الحضـــارة دون تفريق، فخرج المبدعون على مرّ العصـــور منسوبين إلى حضارة المسلمين وإن كانوا من بلاد متباعدة.

لكن يجدر التنبيه هنا إلى أنّ كثيراً من العلماء العرب انتسبوا إلى بلادٍ أعجميَّة لاستيطانهم فيها بعد فتحها، وهو ما يُوهم بأنّ أكثر علماء المســـلمين من غير العرب، وهو ما أوقع العلامة ابن خلدون في هذا الوَهْم حينما قال: "من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملّة الإسلامية أكثرهم العجم، لا من العلوم الشـــرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربيّ في نسبته فهو عَجَمِيٌّ في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملّة عربيّة وصاحب شريعتها عربيّ"[5]، وقد كشـــف الدكتور ناجي معروف رحمه الله وَهْمَ ابن خلدون وكَشَـــفَ في كتابه (عروبة العلماء

المنســـوبين إلى البلدان الأعجمية) [6] بأجزائه الثلاثة أنّ مئات العلماء الذين انتســـبوا إلى بلاد أعجميّة هم في غالبهم عربٌ استوطنوا تلك البلاد وانتسبوا إليها لدواعٍ مختلفة.

ويمكنني هنا عرض بعض تلك الأسماء التي ثبتت عروبتها مع انتسابها إلى بلد أعجمي، سواء من علماء اللغة أو الشريعة:

من علماء اللغة:

- **أبو** عبيد الهروي الفاشـــاني (ت 401هـــــ 1010م)، عربي من بني عبد القيس، له كتاب (الغريبين) في غريبي القرآن والحديث، وهو صـــاحب أبي منصـــور الأزهري مؤلف تهذيب اللغة. عروبة العلماء 1/ 435، 2/ 169
- مؤرج السدوسي الخراساني، عربي من بين شيبان بن ذهل، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي. عروبة العلماء 2/ 293
- أبو الفرج الأصـفهاني (284-356هـــ): عربي من الأمويين، وهو صـاحب كتاب الأغاني المشهور. عروبة العلماء 1/ 378
- بديع الزمان الهمذاني (358-398هـــ): عربي من مضر، وهو صاحب المقامات المشهورة. عروبة العلماء 1/ 346
- النضـر بن شـميل المروزي (ت 203هـــ)، عربي من مازن، وهو اللغوي المشـهور. عروبة العلماء 1/ 166

من علماء الشريعة:

- مسلم بن الحجاج النيسابوري (204- 261هـــ) صاحب الصحيح: عربي من قشير. عروبة العلماء 1/ 269
- أبو عيسى الترمذي (209-279هـ) صاحب السنن إحدى الكتب الستة: عربي من قبيلة سُليم. عروبة العلماء 1/ 293
- أبو داود السجستاني (202- 275هـــ) صاحب السنن إحدى الكتب الستة: عربي من الأزد. عروبة العلماء 1/ 287
- الفضيل بن عياض الطالقاني (105- 187هـ) عربي من تميم. عروبة العلماء 1/ 153
- إسحاق بن راهويه المروزي (161- 238هـ)، عربي من بني تميم. عروبة العلماء 1/ 212
- أحمد بن حنبل المروزي، أحد الأئمة الأربعة، عربي من بني شيبان بن ذُهْل (164- 241هـ) عروبة العلماء 1/ 220

مما لا شـكّ فيه أنّ انتسـاب مئات العلماء العرب الذين اسـتوطنوا البلاد الأعجميّة يحمل دلالةً على انفتاح العرب على الحضـارات والبلاد الأخرى، مع ما فيه من التقاء حضـارتين لدى العالم الذي آثرَ العيش في بلد أعجميّ مع انتسـابه إليه، فلا بدّ أن يسـتفيد من عيشـه في بيئة جديدة عليه، ويكتسـب إلى جانب علمه علوماً أخرى، ولذا فهو نوعٌ من التقاء الثقافات لدى أولئك العلماء.

مثالٌ على كون العربيّة عنصراً في التواصل العلميّ العابر للغات الأخرى:

يتلخّص هذا المثال في أنّ نقد العالم الأندلسـيّ **ابن حزم** رحمه الله للتوراة قد انتقل إلى فيلسـوف أوروبيّ جاء بعده بعدّة قرون، وهو **باروخ اسـبينوزا** المولود في أمسـتردام بهولندا عام 1632م، وقد هاجرت أسرته من الأندلس إثر سقوط غرناطة سنة 1492م على يد فرديناند ملك إسـبانيا، وتعرّض اليهود للقسـوة لإجبارهم على النصـرانيّة أو خروجهم من الأندلس بعد مصـادرة ممتلكاتهم، وتوفي سنة 1677م (1087هـ).

من آثار سبينوزا دراسته لنصوص الأسفار الخمسة المسماة التوراة المنسوبة إلى موسى عليه الصـلاة والسـلام، وقد أفرد معظم كتابه (رسـالة في اللاهوت والسـياسـة)[7] لهذه الدراسـة. وفي دراسـته تناول الظروف العامّة والخاصّـة لحفظ التوراة وروايتها ونقلها، لمعرفة صـحّة نسـبتها إلى موسـى عليه الصـلاة والسـلام، ومَنْ كتبها؟ وأثبتَ في دراسته عدم صـحّة تلك الأسفار، فنفى أنْ يكون موسى عليه الصلاة والسلام كتبها، وأثبت أنّ كاتبها عاش بعد موسى بزمن طويل.

استدلّ اسبينوزا على تلك النتائج بنصوص من التوراة نفسها تدلّ على أنّ كاتبها كان يتحدّث عن موسى لكونه شخصاً آخر غير موسى، ولا يمكن أنْ يتحدث موسى عن نفسه، واستدلّ من نصّـها على أنّ كاتبها تحدّث عن أشـياء وقعت بعد موسـى بزمن طويل، وعن أسـماء أماكن لم تُعرف إلاّ بعد موت موسى عليه الصلاة والسلام بزمن طويل.

أمّا أصل منهجه الذي سلكه في نقد نصوص التوراة فيرجّح بعض المفكرين أنّه من ابن حزم الأندلسي الذي توفي سنة (456 هـ 1064م)، فقد درس نصّ التوراة ونقده وذهب إلى أنّها أُلّفت بعد موسـى بزمن طويل، واسـتخدم الاسـتقراء التاريخيّ لما أحاط بتدوين الأسـفار وحفظها ونقلها وروايتها، فاستدلّ منها على أنّ بني إسرائيل لم تكن لديهم الظروف المهيّأة لحفظ التوراة، فقد تقلّبوا بين الإيمان والكفر. وكانت النتيجة التي وصل إليها ابن حزم والنتائج التي وصل إليها (اسبينوزا) متّفقة في مجملها.

أمّا عن الصـلة بين المفكرين وبينهما خمسـة قرون تقريباً فهو **ابن عزرا الغرناطي** (عاش ما بين عامي1092 و1167 م)، وهو حَبْرٌ يهودي ولد بعد وفاة ابن حزم بثلاثين عاماً، وعاش في غرناطة بعد ابن حزم، واطّلع ابن عزرا على مناظرات ابن حزم لأحبار اليهود، وعلى كتبه ومنها

(الفِصَل في الملل والأهواء والنحل) و (الردّ على ابن النغريلة)، ونقدَ ابن عزرا نفسه التوراة، ثمّ قرأ (اسبينوزا) آثار ابن عزرا، وأشار إلى نقده التوراة، إلاّ أنّه زاد على ما ذكره ابن عزرا.

وعليه فيكون أصل المنهج الذي اتّكأ عليه (اسبينوزا) في نقده التوراة مأخوذاً من ابن حزم[8]، وبما أنّ ابن حزم كتب كتبه بالعربيّة، ثم قرأها ابن عزرا الغرناطي بالعربيّة، **فالعربيّة كانت وسيلة التواصـــل بين ابن حزم وابن عزرا، ولعلّ ابن عزرا كتب كتبه بالعربيّة ثمّ تُرجمت إلى إحدى اللغات الأوربيّة التي قرأها سبينوزا.**

العربيّة وعاء العلوم:

أسهمت العربيّة في نهضة عدّة علوم، وأصبحت عنصراً فاعلاً فيها، بل أصبحت الوعاء الذي يحملها، ومنها:

– **علوم الشـــريعة** التي تعتمد على اللغة في بنائها، مثل التفســير والفقه والحديث؛ فاللغة تأتي شرطاً للمفسّر والفقيه والمحدّث، ففي **التفسير** تُعين اللغةُ المفسرَ على فهم مراد الله في كتابه الكريم، ومعرفة مواقع الكلم، ليســـتطيع بيان معنى كلام الله، ومثله في **الحديث**، وفي **الفقه** تأتي اللغةُ عاملاً أساسيّاً لاستنباط الفقيه الأحكامَ الشرعيّة من القرآن والسنّة.

وكتابة علوم الشريعة بالعربيّة ثمّ انتشارها في أرجاء العالم الإسلاميّ المترامي الأطراف بعد انتشار الإسلام فيها دليلٌ على أنّ العربيّة كانت وسيلة العلم والتواصل بين المسلمين في بلادهم المختلفة.

– ألّف علماء المسلمين في العلوم الأخرى **كالطبّ والفلك والهندسة وغيرها**، وكان تأليفهم بالعربيّة، وارتقت تلك العلوم وتطوّرت عند المســـلمين، ثمّ انتقلت إلى غير العرب، فقرأوها ثمّ ترجموها، وأسهمت تلك العلوم في التقدّم العلميّ والحضاريّ عند الغرب، وهو أمرٌ معلوم.

والناظر في انتشـــار المخطوطات العربيّة يندهش من عددها الهائل في كثير من بلاد العالم، وهو ما يؤكد عناية غير العرب بها، وما مخازن المخطوطات المبثوثة في دول العالم وما تشـــتمل عليه من مخطوطات عربيّة، إلا دليلٌ على هذا الأمر، فقد نهَلَت الأمم الأخرى منها بقراءتها بالعربيّة ثمّ ترجمتها إلى لغاتها المختلفة.

لا يخفى أنّ من أسباب ضعف الاعتراف العالمي بأثر العرب في نقل العلوم التطبيقيّة إلى الحضـارة الغربيّة هو أنّ الشـائع العامّ لدى علماء الغرب الذين أرّخوا للنهضـة الأوربيّة هو الغضّ من جهود علماء العرب والمســـلمين، وأنّ جهودهم لم تزدْ على كونهم ناقلين للعلوم من غيرهم، على أنّه لا يمكن إنكار جهود بعض علمائهم في الاعتراف بأثر العلوم العربيّة وما وصـــلت إليه من إنجازات، وأثرها في الحضارة الغربيّة، منهم **جان كاك سيديو** وابنه **لوي** عام 1834م ونشرهما الترجمة الفرنســيّة لكتاب أبي الحســـن المراكشـــي (القرن 7 هـ 13 م) في علم الفلك التطبيقي

والآلات الفلكيّة، إلى جانب جهودهما المضـــنية لإبراز الاعتراف وإنصـــاف الإنجازات العلميّة العربيّة. وكذلك كان لجهود **أرنست رينان** (1823– 1892م) في كتابه (ابن رشد والرشديّة) أثر كبير في إبراز جهود العرب في الفلسفة العربيّة وأثرها في أوروبا.

كما كان للعالم الألماني **فرانتس فوبكه** (1826– 1864م) نحو أربعين دراسـة بالفرنسـيّة عن الرياضـيات العربيّة، كشف فيها ما وصـلت إليه الرياضـيّات العربيّة، وسـعى **آيلهارد فيدمان** (1852– 1928م) بعده إلى إبراز الجهود العربيّة في مجال الفيزياء والتقنية والعلوم الطبيعيّة في أكثر من 200 مقالة[9].

لقد كانت اللغة العربيّة عاملاً كبيراً في نقل العلوم إلى الغرب، باطّلاع علمائهم على جهود العرب ثمّ البناء عليها وتطويرها، فالعربيّة هنا كانت مثالاً جليّاً على **الحوار بين الحضـــارتين العربيّة والغربيّة، والتقاء الثقافة العربيّة بالغربيّة.**

العالم التركي المســـلم فؤاد ســـزكين رحمه الله، وهو العالم المطّلع على إنجازات العرب والمسلمين في العلوم النظريّة والتطبيقيّة، كان لعلمه الواسع في المخطوطات العربيّة ومراكزها في الشـرق والغرب أثرٌ كبيرٌ في اطلاعه وسـعيه إلى إنصـاف العرب والمسـلمين وإبراز إسـهاماتهم الكبيرة في التقدّم الحضـــاري، ولا يخفى إنجازه العلميّ البارز في عالم المخطوطات وهو كتابه (تاريخ التراث العربيّ) [10].

كما أنّ فؤاد سزكين سعى إلى الكشف عن جهود العرب في العلوم التطبيقيّة خاصّة بتأليف كتابه القيّم (العلوم والتقنية في العالم الإســـلامي)[11]، ومن الوســـائل التي ســـلكها لإبراز جهود المسـلمين في ميدان العلوم **إعادة صـنع الآلات والأدوات والأجهزة التي اسـتُعملت أو طُوّرت أو اختُرعت في البيئة الثقافيّة العربيّة الإســـلاميّة**، وعرضـــها في معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسـلاميّة– جامعة فرانكفورت، إسـهاماً منه في إبراز أثر العرب في تطوّر العلوم، وأثر ذلك في الحضـــارة الغربيّة، كما أن جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلاميّة بالرياض أنشـأت في عام 1432هـ مركز تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، واشتمل متحفه على كثيرٍ من الأجهزة التي سعى فؤاد سزكين إلى صنعها، وقد جاء ذلك بناء على اتفاقيّة بين الجانبين.

وقد زرت (متحف تاريخ العلوم والتقنية في الإسـلام) في جامعة الإمام بالرياض يوم 29 صفر 1445هـ 14 سبتمبر 2023م للاطلاع على تلك الآلات وتصويرها لتضمين نماذج منها في هذا البحث، ووجدته فريداً لاشـتماله على كثير من الآلات والأجهزة التي تكشـف عن جانب عظيم يخفى على أكثر الباحثين، وهو الإنجازات العظيمة للمســلمين في ميدان العلوم، **ومع أن الظاهر هو ألّا صـــلة بين هذا البحث المختصّ باللغة العربيّة وتلك الآلات التقنيّة، لكنّ المراد**

هنا هو إبراز دور اللغة العربيّة في نقل تلك العلوم التي دُوّنت بها، وأكثر تلك الآلات كُتب عليها بالعربيّة، وهو دليل على أن العربيّة هي لغة هذه العلوم التي تمثّلها هذه الآلات.

وقد التقطت مجموعة كبيرة من الصـــور لكنّي ســـأكتفي بنماذج منها مراعاةً لحجم البحث، وفيما يلي بعض تلك الصور:

صور لنماذج مختلفة من إسطرلابات بأشكال مختلفة ومن عصور مختلفة:

صورة (1): وجه الاسطرلاب الكبير: وعليه بعض الكتابات العربية

صورة (2): خلفيّة الاسطرلاب الكبير، وتظهر فيه الكتابات العربيّة، فمع أنه أداة للفلك لكن الحروف العربيّة تصاحبه

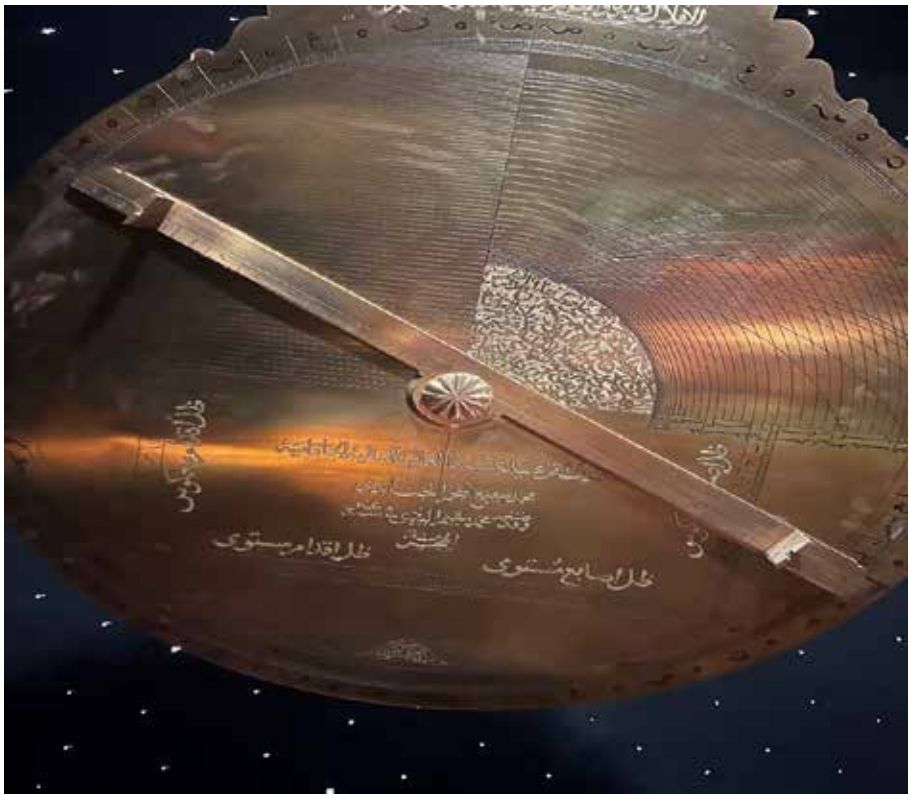

صورة (3): إسطرلاب مع بياناته، ولا تخفى الكتابات العربيّة عليه:

صورة (4): أنواع من الاسطرلابات

صورة (5): أنواع من الاسطرلابات

صورة (6): أنواع من الاسطرلابات

صورة (7): نموذج الكرة الأرضيّة: مرسومة عليه خريطة الخليفة المأمون (ت 218هـ)، صنعها عدد من العلماء كلفهم المأمون بعملها.

صورة (8): خريطة العالم: صنعها الشريف الإدريسي بناء على طلب الملك النورماندي روجر الثاني في جزيرة صقلية سنة 549هـ 1154م على صينيّة فضيّة كبيرة، وكسرها العساكر العصاة بعد سنتين من وفاة روجر، وقسموها بينهم وباعوها، صُنع هذا النموذج بناء على ما ورد في كتاب الإدريسي من خرائط، ونُقل على الصينيّة بالحاسوب.

.

صورة (9): هذه خريطة الإدريسي المعروفة:

ومع أنه صنعها للملك النورماندي لكنه كتب الأسماء الجغرافيّة باللغة العربيّة، وهو دليل انتشار العربيّة

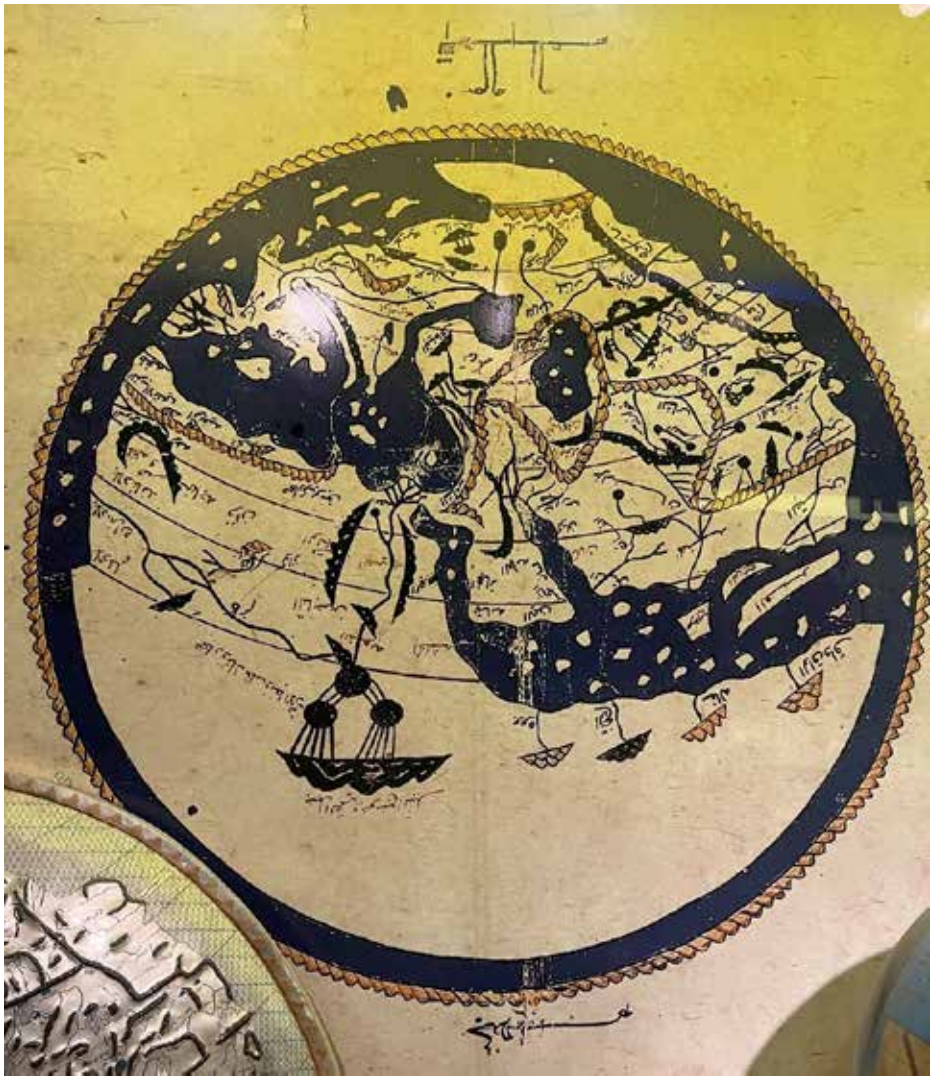

أثرُ العربيّة على غير العرب:

كان للعربيّة أثرٌ عجيبٌ على من تعلّمها من غير العرب، سواء مَنْ تعلّمها منهم لغةً ثانية، أو مَنْ نشأ منهم في البلاد الإسلاميّة فأصبحت لغتَه الأولى، فالعربيّة لم تعدْ لغةً أجنبيّةً عليهم، بل أصبحت لكثير منهم أقربَ إليهم من لغاتهم الأُمّات، فانجذب بعضهم إليها انجذاباً عجيباً، ولعلّ إدراك هؤلاء الأعاجم خصائصها وتميّزها على لغاتهم الأصليّة هو ما دفعهم إلى الإعجاب بها، ومن هؤلاء الزمخشريّ، ففي مقدمة كتابه المفصل قال:" **اللهَ أحمدُ على أن جعلني من علماء العربيّة، وجَبَلني على الغضب للعرب والعصبيّة، وأبى لي أن أنفردَ عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبيّة وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يُجْدِ عليهم إلا الرشقَ بألسنة اللاعنين والمشقَ بأسِنّة الطاعنين**"[12].

ومنذ زمن بعيد عَبَرَت العربيّة حدود عالمها إلى البلاد الأعجميّة التي وصل إليها الفاتحون، فأصبحت اللغةَ المعتمدةَ في تلك البلاد، وأقبل أهلها على تعلّمها ودراسة علومها، وما البلادُ الناطقة بالفارسيّة وما حولها، وبلادُ الأندلس وما حولها، إلا نموذجان على البلاد التي أصبحت العربيّة لغةً شائعةً فيها، تُدوّن بها العلوم، ويتعلّمها الناس فيقرأون بها ويكتبون، بل إن العربيّة اقتحمَت سياج اللغة الأصليّة للبلاد فأكسبتها كثيراً من ألفاظها، وبقي هذا التأثير عدّة قرون؛ ولا يخفى تأثير اللغة العربيّة في اللغتين الإسبانيّة والفارسيّة؛ فنسبة الألفاظ العربيّة فيهما كبيرة، وحالة هاتين اللغتين مثالٌ جليٌّ على التقاء الثقافة والعلوم العربيّة بتلك الثقافات والعلوم، فهو حوارٌ صامتٌ بين الحضارات.

كان للإعجاب وحبّ العربيّة لدى الأعاجم أثرٌ في اتجاههم إلى دراستها والتأليف فيها، وفي العصور المتأخرة أقبل كثيرٌ من المستشرقين على العربيّة فدرسوها وألّفوا فيها أو عنها، ولم ينتهِ الأمر عند دراستها بل اتجهوا إلى نشر كتبها المخطوطة في شتّى بلاد العالم، بل لقد تميّز بعضهم على بعض المحقّقين العرب في المنهج والأمانة العلميّة، وفي الحرص على إخراج النصوص كما أرادها مؤلّفوها، وهو ما يكشف عن قدرتهم على قراءة نصوصها وفهمها ومعالجتها بما يناسب ميدان الكتاب والعلم الذي أُلّف فيه.

قال العلامة **أحمد شاكر** رحمه الله:" وشيءٌ نادرٌ عُنِيَ به بعض المستشرقين في أوروبة وغيرها من أقطار الأرض، يمتاز عن كلّ ما طُبع في مصر بالمحافظة الدقيقة- غالباً- على ما في الأصول المخطوطة التي يطبع عنها، مهما اختلفت، ويذكرون ما فيها من خطأ وصواب، يضعونه تحت أنظار القارئين، فرُبّ خطأٍ في نظر مصحّح الكتاب هو الصواب الموافق لما قال المؤلّف، وقد يتبيّنه شخص آخر عن فهمٍ ثاقبٍ أو دليلٍ ثابتٍ، وتمتاز طبعاتهم أيضاً بوصف

الأصـــول التي يطبعون عنها، وصـــفاً جيداً، يظهر القارئ على مبلغ الثقة بها، أو الشـــكّ في صحتها، ليكون على بصيرة من أمره"[13].

أثبتَ التراث العربيّ قدرته على اقتحام ميادين تعليم اللغات الأخرى ونشر تراثها، فقد اعتنى بعض المستشرقين بنشر الكتب العربيّة لتعليمها في أوربا، أو ترجمتها ليتمكن طلابهم من دراستها والاسـتفادة منها، ومن الأمثلة عليه تحقيق المسـتشـرق الفرنسـي دربرنبور H. Drerenbourng (1811–1895)[14] لكتاب سـيبويه في مجلدين كبيرين نشـرهما في باريس (1811–1889)، وما إنْ طبع النصّ العربيّ في باريس حتى أخذ مسـتشـرق ألماني هو يان G.Jahn (1837–1917) في ترجمة كتاب سـيبويه من العربيّة إلى الألمانيّة، وأفاد في عمله من مخطوط لشـرح السيرافيّ (المتوفى 368 هـ) على كتاب سيبويه، وطبعت هذه الترجمة الألمانيّة لكتاب سيبويه مع نصوص بالعربيّة من شرح السيرافي بين عامي 1894–1900م.

كما حقّقوا كتاب المفصل للزمخشري (المتوفى 538 هـــ)، وشرحه لابن يعيش (المتوفى 643هـ)، وكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (المتوفى 577هـ) حقّقه فايل Weil مع دراســة مفصــلة لمدارس النحو العربيّ، وطبع في ليدن 1911[15]، وغيرها كثيرٌ من مئات الكتب العربيّة.

أمّا في ميدان التأليف في علوم العربيّة قديماً وحديثاً فأكثر من أنْ يتســع هذا البحث للحديث عنه، فلعلّ فيما سبق كفاية.

تأثير اللغة العربيّة في كثير من لغات العالم:

ممّا أســهمت به العربيّة خارج حدودها أنّها أثّرت تأثيراً بالغاً في كثيرٍ من اللغات، ســواء لغات الشـعوب الإسـلاميّة، أو لغات البلاد الأخرى، فتأثّرت تلك اللغات بالعربيّة في وجوهٍ متعدّدة أذكر فيما يلي أهمّها:

أ- تأثير النظام الكتابي العربيّ على أنظمة عدّة لغاتٍ فكُتبت به.

لقراءة المسـلمين القرآن بالعربيّة تأثّرت لغاتٌ كثيرةٌ برسـمه فكتبوا لغاتهم بحروفه لاعتيادهم عليها، ومن تلك اللغات التي تأثرت بالنظام الكتابي العربيّ: الفارسيّة والكرديّة والبوشتو والسنديّة والأوردو والبنجابيّة والكشميريّة والأذربيجانيّة الجنوبيّة والأيغوريّة والبوسنويّة والأوزبكيّة والجاويّة.

ومن الكتابات التي تأثرت بالعربيّة الكتابة المورسكيّة (لغة الألخاميذو) وهي كتابة المسلمين لغات أسبانيا والبرتغال بالحروف العربيّة بعد سقوط غرناطة[16].

ومن اللغات التي كُتبت بحروف عربيّة اللغة الأفريكانيّة، وهي لغة المســتعمرين الهولنديين في أفريقيا، وقد كتبها المسلمون بحروف عربيّة، وكذا اللغة الألبانيّة[17].

ومن اللغات التي كانت تُكتب بحروف عربيّة اللغة الإندونيسيّة، لكنّهم سعوا بتأثير غربيّ إلى تغيير حروفها إلى الحروف اللاتينيّة، وكذا اللغة التركيّة فقد غيّرها العلمانيّون إلى الحروف اللاتينيّة. ولا يشكّ أحدٌ بأنّ كتابة اللغة بحروف عربيّة يقرّبها من العربيّة، ويقرّب أهلها من الثقافة والحضارة العربيّة.

ب- تأثير بعض قواعد العربيّة في قواعد بعض اللغات:

للعربيّة تأثير جليّ في أنظمة بعض اللغات الأخرى وقواعدها، ومن مظاهر هذا التأثير ما يلي:

- **تأثير العربيّة في اللغة القشتاليّة**، وهي أصل اللغة الإسبانيّة الحديثة، فقد أخذت من العربيّة الموصولات وبعض ضمائر الرفع المنفصلة، وكل ضمائر الرفع المتصلة[18].
- **تأثّر النحاة اليهود عند تقعيد لغتهم العبريّة بالنحو العربيّ:**

يتّفق كثيرٌ من الباحثين على تأثّر اليهود بالمسلمين في الأندلس في كثيرٍ من مناحي الحياة، ومن بينها تأثّرهم باللغة والأدب العربيّ.

نشأ النحو العبري في العراق على يدي سعيد بن يوسف الفيومي (ت:٢٧٩هـ /٨٩٢م)، فقد ألّف أول معجم عبري في تاريخ اللغة العبريّة، رتبه ترتيباً أبجدياً، وقد اعترف فيه بتأثره بالنحاة العرب، واقتفى أثرهم من حيث الخطة والمنهج.

وقد امتدّ التأثير العربي أيضا ليشمل مقالاته المسماة " كتب اللغة"، والتي تعدّ أولى المقالات المكتوبة التي تُخصّص للنحو العبري، وظهر هذا التأثر من تقسيمه الكلام إلى: اسم وفعل وحرف. وهو التقسيم العربي نفسه، وفي تعريفاته، واعتباره أنَّ المصدر أصل المشتقات، وامتدّ إلى وصفه للأصوات والحركات، وقد انتهت الدراسات اللغويّة والنحويّة للغة العبريّة في الشرق بهذه المؤلفات التي ألفها سعيد الفيومي.

أمّا في **الأندلس** فقد ازدهرت الدراسات اليهوديّة للعبريّة، وظهر فيها تأثرها بالدراسات اللغويّة العربيّة، وسأذكر هنا أبرز العلماء اليهود الذين كانت لهم جهود في دراسة العبريّة مع تأثّرهم باللغة العربيّة:

دوناش بن لبراط هاليفي"(٩٢٠-٩٧٠م):

له أول شعر تعليمي نحوي في الأدب العبري، وهو يشبه ألفيّة ابن مالك. وهو أول من ميز بين الأفعال المتعدية وغير المتعدية، وأول من سمى حروف الأصول بأسماء حروف (فعل)، كما قسم صيغ الفعل إلى شديدة وضعيفة، ووضع أقسام الكلام الثلاثة؛ الاسم والفعل

وكلمات أخرى تشمل ظروفاً وحروف جر. وهذا يدلُّ على أنَّ النحو العبري قد وصل في الأندلس إلى مرحلة متقدمة من الكمال.

أبو زكريا بن داود المشهور بيهودا بن حيوج (945- 1000م):

يعدونه أبا النحو العبري، فهو الذي وضع قوانين أصول الكلمات، وما يتصل بالقلب والإبدال، وهو الذي نظّم النحو العبري وتأثر فيه بالنحو العربي، وكتب مؤلفاته باللغة العربيّة، وصار لها أثر كبير عند النحاة اليهود.

أبو الوليد مروان بن جناح (990- 1055م):

كان يتقن اللغة العربيّة، وتميّزت أعماله بالإبداع وتصحيح كثير من كتابات السابقين عليه، ويظهر في كتاباته الأثر العربي الكبير في فكره وأسلوبه؛ فهو **يستشهد كثيراً بكلام العرب**، وبأمثلة من النحو العربي.

مما يؤكد الأثر العربي في فكر ابن جناح ما أثبته في مقدمة كتابه" اللمع" الذي يعدّه اليهود بمنزلة كتاب سيبويه عند العرب، إذ قال: "**وما لم أجد عليه شاهداً مما ذكرته ووجدت الشاهد عليه من اللسان العربي لم أتحرج من الاستشهاد بواضحه**، ولم أتحرج من الاستدلال بظاهره كما يتحرج من ضعف علمه وقلّ تمييزه من أهل زماننا لا سيما من استشعر منهم التقشف وارتدى بالتدين مع قلة التحصيل لحقائق الأمور.

... وقد رأيت الأوائل وهم القدوة في كل شيء يستشهدون على شرح غريب لغتنا بما جانسه من غيرها من اللغات فتراهم يفسرون كتاب الله من اللسان اليوناني والفارسي والعربي والأفريقي وغيرها من الألسن، فلما رأينا هذا منهم لم نتحرج من الاستشهاد على ما لا شاهد عليه من العبراني بما وجدناه موافقاً ومجانساً له من اللسان العربي؛ إذ هو أكثر اللغات بعد السرياني شبهاً بلساننا"[19].

وهذا أ. ولفنسون أحد علماء اللغات الساميّة يشهد بأثر اللغة العربيّة ودراساتها على اليهود في دراساتهم لغتهم العبريّة، قال: "على أن الأدب الإسرائيلي في القرون الوسطى قد انتعش انتعاشاً عظيماً ونهض نهضة قويّة واتجه اتجاهاً جديداً في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس ومصر والعراق، فقد أخذ اليهود في تلك العهود **يقلدون العرب في الشعر فاقتبسوا البحور العربيّة**، وصاغوها في قالب عبريّ ووزن عبريّ، ثم انطلقوا ينشدون المقاطيع والقصائد حتى أثْرَتْ العبريّة بهذا النوع من الشعر الجديد، ونبغ فيه كثيرٌ من اليهود.

... وكذا ظهرت أساليب جديدة في النثر العبري الفلسفي والتشريعي، إذ كان قد تأثر بالأساليب العربيّة، واقتبس اليهود فيه كثيراً من الاصطلاحات والألفاظ العربيّة"[20].

جـ- انتقال ألفاظ عربيّة إلى لغات أخرى:

كان تأثير العربيّة على البلاد الأعجميّة ينتشر مع انتشار العرب في تلك البلاد، فبعد فتح المسلمين كثيراً من البلاد وحلولهم بها واستقرارهم فيها كثُرت التسميات العربيّة للمواضع فيها، ولأشياء أخرى من أطعمة وألبسة ونحوها ممّا يحتاجه الإنسان في حياته.

كثرت الكتابات عن الألفاظ العربيّة في اللغات الأجنبيّة، والناظر في الإنتاج العربيّ الفكريّ المتّصل بوصف الحياة في البلاد الأخرى يلحظ كثرة الكلمات العربيّة في تسمية الأشياء، وخاصة في لغات الشعوب الإسلاميّة.

وعند النظر في الكتب العربيّة التي تصف بلاد العجم وتذكر تسميات الأشياء فيها ككتب الرحلات والجغرافيا يُدهش الناظر من كثرة الألفاظ العربيّة الشائعة في تلك البلاد، وهو أكبر دليل على شيوع العربيّة فيها ودخولها في المظاهر الحضاريّة لديهم، وفيما يلي أورد بعض الألفاظ التي وردت في كتب الرحلات:

- ذكر المقدسيّ عن أهل **جُرْجان** في إقليم الديلم أنّهم يسمون العالم **مُعَلّماً**. (ص 283)[21]
- وفي حديث المقدسي عن **إقليم الديلم** ذكر أنّ صغار الدراهم وكبارها تُسمّى بالغرب **المكيّة واللفائف**. (ص 282)
- وفي حديث المقدسيّ عن نهرٍ بالأهواز في إقليم **خوزستان** ذكر أنّ الدواليب التي يديرها الماء تسمى **النواعير**. (ص 315)
- وفي حديث المقدسيّ عن إقليم **السِنْد** ذكر تسمية دراهم السِنْد **بالقاهريّات**. (ص 364)
- ذكر اليعقوبي أن أهل **الهند** يسمون أماكن القرنفل (ريح الجنة) لذكاء رائحته. (كتاب البلدان ص 213)
- ذكر ابن بطوطة تسمية أهل **الهند** العجلة بـ (العَرَبَة) 218/2[22]
- ذكر ابن بطوطة تسمية أهل **إيذج** الزاوية التي يكون فيها الطعام والشراب للضيوف بـ (المدرسة) 23/2
- ذكر ابن بطوطة تسمية أهل بلاد **المَعْبَر** الأخْبِيَة بـ (الخِيام) 93/4
- ذكر ابن بطوطة تسمية أهل مدينة **أصْفَهان** المِشْمِش المجفّف بـ (قمر الدين) 2 /29

لعلّ **اللغة الفارسيّة** أبرز اللغات المتأثرة بالعربيّة، فهي لغة أعجميّة مع كونها لغة مسلمين، ولذا فقد كان التأثير المتبادل ظاهراً بين اللغتين، ويعنينا هنا تأثير العربيّة في الفارسيّة ، فإلى جانب أخذ الفارسيّة الحروف العربيّة حروفاً لها، فقد كان انتقال الألفاظ العربيّة إلى الفارسيّة كبيراً، فـ"لم يقف تأثير العربيّة في الفارسيّة عند إبدال الخطّ، بل ضخّت مجموعة ضخمة من

مفرداتها إلى الفارسيّة، بما يقدّر **بستين أو سبعين بالمائة من هيكليّة الفارسيّة المعاصرة**، فلا الفردوسيّ- وهو أسطورة الأدب الفارسي في الشعر الحماسي والملحمي بديوانه الشهير عالمياً (شاهنامه)- استطاع أن يضع حدّاً على انتشار المفردات العربيّة في الفارسيّة، رغم شعبيته العظيمة الباقية لحدّ الآن في أدب المقاهي وملاعب الرياضة المحليّة"[23].

ممّا مضى يتضح مدى التأثير الكبير للعربيّة في عدّة لغات أعجميّة، ولا عجب في ذلك حينما يكون التأثير في لغات الشعوب الإسلاميّة، لكنّ العجيب هو تأثّر لغاتٍ أخرى لشعوب غير إسلاميّة في غالبها، وهو باب واسع، فلا تكاد لغة من اللغات الأوربيّة تخلو من كثير من الكلمات العربيّة، ومع شهرة تأثّر الإنجليزيّة بالعربيّة ودخول كلمات عربيّة فيها لكنّي سأمثّل بلغتين أخريين هما الإسبانيّة والفرنسيّة:

اللغة الإسبانيّة:

قال مدير المعهد الثقافي الإسباني، **بكتور غارسي دي لكونتشا**، خلال اللقاء الذي أقيم بمجلس النواب للمنتدى البرلماني الإسباني المغربي حول موضوع (العلاقات الثقافيّة في إطار موروث مشترك):"إن **عشرة آلاف كلمة من أصل عربي توجد باللغة الإسبانيّة** تم تضمينها كلها في قاموس الأكاديميّة الملكيّة للغة الإسبانيّة"، وأضاف أن هذا التواجد الكثيف للكلمات العربيّة في اللغة الإسبانيّة يقابله تأثير ضعيف للغة الإسبانيّة على العربيّة حيث نجد فقط بعض الكلمات من أصل إسباني في لغة الضاد. وأعطى دليلاً عن هذا التأثير الكبير للغة العربيّة على اللغة القشتاليّة كما في شعر الشاعر الصوفي سان خوان دي لا كروز، نظراً لأن أمّه من أصل مغربي[24].

اللغة الفرنسيّة:

نشرت السيدة **هنريت والتر** كتاباً في 344 صفحة من الحجم الكبير بعنوان:(مغامرة الكلمات الفرنسيّة القادمة من الخارج) صدر بباريس سنة 1997م وعن دار روبير لافون، وصاحبة هذا الكتاب باحثة فرنسيّة وأستاذة للسانيات في جامعة رين الفرنسيّة، ومديرة لمختبر الفونولوجيا في المدرسة التطبيقيّة للدراسات العليا، ورئيسة للجمعيّة الدوليّة للسانيات الوظيفيّة، صدر لها قاموس بالاشتراك مع جيرار والتر سنة 1991م عن دار لاروس" بباريس عنوانه: (قاموس الكلمات الفرنسيّة ذات الأصل الأجنبي).

وللكشف عن الكلمات الفرنسيّة ذات الأصل الأجنبي فقد اعتمدا على القاموسين الفرنسيين "Le Petit dictionnaire de la langue française" المطبوع بباريس سنة 1988م. و Le Micro-Robert plus المطبوع سنة 1987م، ويحتوي كل منهما على 35.000 كلمة، وقد

وجدا أن الكلمات ذات الأصـــل الأجنبي (4061) كلمة، ومن النتائج التي توصـــل إليها مؤلفا القاموس المذكور أن مجموع الكلمات الفرنســـيّة القادمة إليها من لغات أخرى، شـــرقيّة وغربيّة، يصـــل إلى نســـبة 13% تقريبا، وأن الكلمات الفرنســـيّة القادمة من اللغة العربيّة تقع في المرتبة الخامسـة من بين اللغات التي استعارت منها الفرنسـيّة كلماتها، أي أن الكلمات العربيّة تأتي من حيث عددها في مرتبة قبل الألمانيّة (المرتبة السـادسـة)، والإسـبانيّة (المرتبة السـابعة)، والفارسـيّة (المرتبة الثالثة عشرة) والبرتغاليّة (المرتبة السـادسـة عشرة)... وغيرها من اللغات الأخرى. وهكذا تبين أنه توجد 212 كلمة عربيّة.

ومن بين هذه اللغات الشرقيّة المؤثرة في الفرنسيّة، وجدت السيدة **هنريت والتر** أن العربيّة كانت لها مكانة متميزة جدا من حيث تأثيرها الكبير على المعجم الفرنســـي، ولذلك فهي تســـتهل فصلها العاشر بفقرة تحت عنوان: "مكانة متميزة للغة العربيّة"، تقول فيها: "لم يقع للفرنسيّة ما وقع للإســـبانيّة التي وجدت نفســـها في احتكاك يومي مع العربيّة لمدة طويلة جداً، لا تقلّ عن ســـبعة قرون بالنســـبة لجنوب شـــبه الجزيرة [الإيبيريّة]، ومع ذلك فإن الفرنســـيّة اســـتعارت كميّة كبيرة من الكلمات العربيّة واحتفظت بها. وأقرب هذه الألفاظ حضـــوراً في الذهن، هو- بلا شـــكّ- تلك الكلمات التي جاءت إلينا عن طريق شمال إفريقيا خلال فترة الاستعمار"[25].

ولعل ممّا يختصر هذا الموضوع ويؤكّده العودة إلى دراسات أعدّها مستشرقون لتكون أكثر إبانةً عن مدى التأثير العربي على كثير من لغات العالم، ولاختصـــار هذا البحث فإني ســـأكتفي بسرد قائمة من هذه الدراسات لمن أراد التوسع في الموضوع:

1 - اللغة العربيّة وسكان الأندلس في القرون الوسطى، للمستشرق الفرنسي هنري ببريس (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في الجزء الأول سنة 1944 (ص393- 408)

2 -أثر اللغة العربيّة في اللغة البرتغاليّة، للأستاذ جوزيه بدرو مشادو، (مجلة مجمع اللغة العربيّة في القاهرة الجزء الأول سنة 1965ص (65- 68)

3 -اللغة العربيّة ومظاهرها في غرب أفريقيا، للأستاذ الدكتور جون هانيوك (مجلة معهد المخطوطات العربيّة المجلد 24 جزء 1 سنة 1978 ص (175-190).

4 -تأثر العربيّة في السنغال، الأستاذ مالك إنجاي، مجلة اللسان العربي، مجلد 8 ص (152-158).

5 -اللغة العربيّة في أفغانستان، للمستشرق كارل شتولز (مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق مجلد 30 الجزء الثالث سنة 1955ص (367-379).

6 -تأثير اللغة العربيّة في اللغة الرومانيّة، دراسة للمستشرق الروماني جورج غريغوري (مجلة المورد) المجلد 32العدد 2 سنة 2005 ص (2-4)

7 –تأثير اللغة العربيّة على البولونيّة، للمستشرق جوزي كوتكوفسكي (مجلة مجمع اللغة العربيّة في دمشق) مجلد 25 جزء 1 سنة 1951ص (147– 150).

8 –اللغة العربيّة في جورجيا، للمستشرق أ. أركلي توبو ريدزه (مجلة دراسات الترجمة) المجلة الفصليّة الصادرة عن بيت الحكمة– بغداد العدد 1 لسنة 2002م 33333.

9 – من الأدب الألباني مع مقدمة في الصلات الأدبيّة العربيّة الألبانيّة، للمستشرق الألباني محمد موفاكو (مجلة التراث العربي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، السنة الأولى عدد 3 سنة 1980.

10– بعض اصطلاحات يونانيّة في اللغة العربيّة، للمستشرق بندلي جوزي[26].

د– انتشار العربيّة بين الأعاجم في بلادهم:

لعلّ أصدقَ مصدرٍ يكشف عن هذه المسألة كتبُ الرحلات والجغرافيّة العربيّة، فهي تكشف عن الجانب الاستعمالي للغات البلاد التي تتحدث عنها، فالرحّالة، وهو يصف البلاد التي يزورها، يكشـف عن اللغة المسـتعملة فيها، ولذا كشـفوا عن اختلاط العربيّة بلغة البلد الذي يزورونه، وكشـفوا عن حديث السـكّان بالعربيّة إلى جانب لغتهم الأصـليّة، وفيما يلي نماذج من نصـوص الرحلات التي كشفت هذا الجانب:

- قال الإصـطخري عن بعض مدن إقليم الرحاب:" ولسـان أذربيجان وأرمينية والران الفارِسـيّة **والعربيّة**، غير أن أهل دَبِيل وحواليها يتكلمون بالأرمينيّة، ونواحي برذعة لسانهم الرانيّة، ولهم جبال يسـمونها القبق وتحيط بها ألسـنة مختلفة كثيرة للكفار"[27]، وذكر ابن حوقل مثل الذي ذكره الإصـطخري عن ألسـنة أذربيجان وأرمينية والران ودَبِيل، لكنّه زاد ما يدلّ على شـيوع العربيّة بينهم بقوله:" والعربيّة بينهم مسـتعملة، وقلّ مَنْ بها ممّـن يتكلّم بالفارسـيّة لا يفهم بالعربيّة"[28].
- قال الإصطخري عن إقليم **خوزستان**:" وأما لسانهم فإن عامتهم يتكلمون بالفارسيّة **والعربيّة**، غير أن لهم لسانا آخر خُوزِيّاً، ليس بعبرانى ولا سريانى ولا فارسى"[29].
- قال الإصطخري عن أهل فارس:" ولهم ثلاثة ألسنة: **الفارِسِيّة** التي يتكلمون بها، وجميع أهل فارس يتكلمون بلغة واحدة يفهم بعضـهم عن بعض، إلا ألفاظاً تختلف لا تسـتعجم على عامّـتهم، ولسانهم الذي به كتب العجم وأيامهم ومكاتبات الـمجوس فيما بينهم هو **الفهلويّة**، التي تحتاج إلى تفسير حتى يعرفها الفرس، **ولسـان العربيّة به مكاتبات السـلطان والدواوين وعامة الناس وأمرائهم**"[30].

يتضـح من هذه الشـواهد المتفرقة انتشـار العربيّة وأثرها البالغ في لغات الأقاليم الأعجميّة، وفي الناطقين بها.

لعلّ ما مضى استطاع تصوير انتشار العربيّة بين الأعاجم، وكثيرٌ منهم من المسلمين، لكنّ النصّ التالي للأستاذ **برنارد لويس** المستشرق المعاصر عن حبّ العربيّة وانتشارها بين النصارى في الأندلس يعطي دلالةً أعظم على أثر العربيّة البالغ في غير المسلمين، قال: "وانتشر اللسان العربي أيضاً بشكل ملحوظ حتى بين أولئك الذين ظلوا على ولائهم لدياناتهم القديمة، وفي زمن مبكر لا يعدو منتصف القرن التاسع يشير **ألفاروا**، وهو مسيحي من قرطبة، بأسف إلى هذا قائلاً: كثيرون من أهل مِلّتي يقرأون شعر العرب وقصصهم ويدرسون كتابات علماء الكلام والفلاسفة المسلمين، لا لينقضوا أقوالهم وإنما ليتعلموا كيف يعبرون عن أنفسهم بالعربيّة بشكل أكثر دقّةً وإتقاناً ... جميع الشباب النصراني من ذوي المواهب لا يعرفون سوى العربيّة والأدب العربي، ويجمعون من هذه الكتب مكتبات ضخمة باهظة التكاليف"[31].

خاتمة:

لقِصَر هذا البحث واختصاره جاء على هيئة وقفات مختصرة، محاولةً مني للكشف عن تأثير العربيّة في اللغات، ومع سعة الموضوع لكني حاولت الاختصار بذكر نماذج وأمثلة متنوّعة لتفي بالموضوع مع التزام الاختصار ما أمكن، ولعلّ مما زاد في عدد الصفحات الصور التي أوردتها دليلاً على التأثير الواقعي المشاهد لعلوم المسلمين في الحضارة الغربيّة، وكونها عاملاً فاعلاً في الحوار الحضاريّ بين الشرق والغرب، فقد كان هذا الميدان موطناً لالتقاء الثقافتين الإسلاميّة العربيّة وغيرها من ثقافات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر البحث ومراجعه:

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – المقدسيّ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربيّ 1408هـ 1987م بيروت – لبنان.
- إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية 1/ 78، رئيس التحرير أحمد شيخ عبد السلام، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الطبعة الأولى 1428هـ 2007م.
- أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي– عبد العزيز الحميد، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام، الطبعة الأولى 1433هـ 2012م.
- الألسنية العربي– محمد خاقاني أصفهاني، عطا محمد أبو جبين، دار جرير للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1434هـ 2013م
- البحث اللغويّ – د. محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب (دار غريب للطباعة)، مصر – القاهرة.
- تاريخ التراث العربيّ– فؤاد سزكين، ترجمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدداً من أجزائه في العلوم الإنسانية ونشرتها، وترجمت جامعة الملك سعود عدداً من الأجزاء في العلوم التطبيقية.
- تاريخ اللغات السامية– أ. ولفنسون (أبو ذؤيب)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
- تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة – أحمد شاكر، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، ط الثانية 1415هـ، مكتبة السنة، القاهرة.
- جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر – أندريه ميكيل، ترجمة إبراهيم خوري، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي– دمشق 1983).
- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار – قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي (مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة 1417هـ 1997م.
- رسالة في اللاهوت والسياسة– باروخ اسبينوزا، ترجمه من الفرنسية الدكتور حسن حنفي، ونشرته الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر بالقاهرة عام 1971م.
- صورة الأرض– ابن حوقل، منشورات دار مكتبة الحياة– بيروت– لبنان 1992م
- عالمية الأبجدية العربية وتعريف باللغات التي كُتبت بها– عبد الرزاق القوسي، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى 1436هـ 2015م
- العرب في التاريخ– الأستاذ برنارد لويس، ترجمة نبيه أمين فارس، محمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، بيروت 1954م
- عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في المشرق الإسلامي– الجزء الأول– ناجي معروف، منشورات وزارة الإعلام– العراق، الطبعة الأولى 1394هـ 1974م
- عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في خراسان– الجزء الثاني– ناجي معروف، منشورات وزارة الثقافة والفنون– العراق، الطبعة الأولى 1397هـ 1977م

- عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في بلاد الروم والجزيرة وشهرزور وأذربيجان– الجزء الثالث– ناجي معروف، منشورات وزارة الثقافة والفنون– العراق.
- العلوم والتقنية في العالم الإسلامي– فؤاد سزكين، المجلد الأول، مدخل، ترجمة مازن عماوي، نشره معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية– جامعة فرانكفورت في ألمانيا بدعم من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.، 1427هـ 2007م.
- لسان حضارة القرآن– محمد الأوراغي، دار الأمان– الرباط، منشورات الاختلاف– الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون– بيروت، الطبعة الأولى 1431هـ 2010م.
- المسالك والممالك – ابن إسحق إبراهيم بن محمد الفارِسِيّ الإصطخري، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني، الجمهوريّة العربيّة المتحدة 1381هـ 1961م.
- معجم البلدان – ياقوت الحموي، دار صادر – بيروت، 1397هـ 1977م.
- المفصل في علم العربية– الزمخشري، الطبعة الأولى سنة 1323هـ مطبعة التقدم.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للنشر
- منهج نقد النصّ بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا د. محمّد عبد الله الشرقاوي، مطبعة المدينة – القاهرة.

البحوث العلمية:

- اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة، قراءة في مجموعة من دراسات المستشرقين– حامد ناصر الظالمي، مجلة العميد، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد 11، ذو القعدة 1435هـ أيلول 2014م
- صور من رحلة الكلمات العربية إلى الفرنسية– تقديم وترجمة وتعليق أ.د. عبد العلي الودغيري، مجلة اللسان العربي، السنة 2011 العدد 49
- التأثير العربي في الفكر اللغوي ليهود الأندلس، كتاب "اللُّمَع" أنموذجاً– الدكتور وحيد صفية، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، فصلية محكّمة، العدد الثالث عشر، ربيع ١٣٩٢هـ. ش ٢٠١٣م، جامعة سمنان الإيرانية.

المواقع الإلكترونية:

- موقع أخبارنا المغربيّة:

https://www.akhbarona.com/culture/57014.html

التعليقات الختاميّة:

(1) ينظر: إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية 1/ 78

(2) ينظر: مدخل إلى تاريخ العلوم العربية والإسلامية- فؤاد سزكين ص 154-155

(3) العرب في التاريخ- برنارد لويس ص 186

(4) المرجع السابق ص 192

(5) مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي 3/ 1122

(6) صدر الكتاب في ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في المشرق الإسلامي- **الجزء الأول**- ناجي معروف، منشورات وزارة الإعلام- العراق، الطبعة الأولى 1394هـ 1974م

عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في خراسان- **الجزء الثاني**- ناجي معروف، منشورات وزارة الثقافة والفنون- العراق، الطبعة الأولى 1397هـ 1977م

عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في بلاد الروم والجزيرة وشهرزور وأذربيجان- **الجزء الثالث**- ناجي معروف، منشورات وزارة الثقافة والفنون- العراق.

(7) رسالة في اللاهوت والسياسة: ترجمه من الفرنسية الدكتور حسن حنفي، ونشرته الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر بالقاهرة عام 1971م.

(8) ينظر عن نقد ابن حزم واسبينوزا للتوراة والصلة بين منهجيهما: منهج نقد النصّ بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا د. محمّد عبد الله الشرقاوي، وللاطلاع على ما كتبه اسبينوزا راجع كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) ص 265 وما بعدها. ويُنظر في الموضوع: أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي- عبد العزيز الحميد 1/ 82-83

(9) العلوم والتقنية في العالم الإسلامي- فؤاد سزكين، المجلد الأول، مدخل، (المقدمة ص 11-13).

(10) تولّت **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ترجمة ونشر المجلد الأول، الجزء الأول في علوم القرآن والحديث، والمجلد الأول، الجزء الثاني: التدوين التاريخي، والمجلد الأول، الجزء الثالث: الفقه، والمجلد الأول، الجزء الرابع: العقائد والتصوف، والمجلد الثاني، الشعر- الجزء الأول: مقدمة ودراسات، والمجلد الثاني، الشعر- الجزء الثاني: العصر الجاهلي، والمجلد الثاني، الشعر- الجزء الثالث: عصر صدر الإسلام وبني أمية والمخضرمين، والمجلد الثاني، الشعر- الجزء الرابع: العصر العباسي، والمجلد الثاني، الشعر- الجزء الخامس: بقية العصر العباسي، والمجلد الثامن، الجزء الأول: علم اللغة إلى حاولي سنة 430هـ

ونشرت **جامعة الملك سعود** المجلدات التالية: المجلد الثالث، الطب والصيدلة، علم الحيوان- البيطرة حتى نحو 430هـ، والمجلد الرابع، السيمياء والكيمياء، النبات والفلاحة، والمجلد الخامس، الرياضيات حتى نحو 430هـ، والمجلد السادس، علم الفلك.

(11) صدر الكتاب باللغة الألمانية سنة 2003م، في خمسة مجلدات من الحجم الموسوعي، وقد ترجم مازن عماوي الجزء الأول إلى العربية ونشره معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت، بدعم من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1427هـ 2007م.

(12) المفصل في علم العربية- الزمخشري ص 2

(1) تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة – أحمد شاكر ص 10–12

(14) هكذا كتبه محمود فهمي حجازي، وكتبه نجيب العقيقي هكذا (ديرنبورج Derenbourg)

(15) البحث اللغويّ – د. محمود فهمي حجازي ص 92–93

(16) ينظر عالمية الأبجدية العربية– عبد الرزاق القوسي ص 140

(17) ينظر المصدر السابق ص 159، 166

(18) ينظر لسان حضارة القرآن– محمد الأوراغي ص 135

(19) ينظر: التأثير العربي في الفكر اللغوي ليهود الأندلس، كتاب "اللُّمَع" أنموذجاً– الدكتور وحيد صفية، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، فصلية محكّمة، العدد الثالث عشر، ربيع ١٣٩٢هـ. ش ٢٠١٣م، جامعة سمنان الإيرانية.

(20) تاريخ اللغات السامية– أ. ولفنسون (أبو ذؤيب) ص 91

(21) أرقام الصفحات التي أمام كل فقرة هي لمواضعها في: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – المقدسيّ.

(22) رقم الجزء والصفحة الذي أمام كل فقرة هي لمواضعها في: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

(23) الألسنية العربي– محمد خاقاني أصفهاني، عطا محمد أبو جبين ص 86

(24) ينظر: أخبارنا المغربيّة: https://www.akhbarona.com/culture/57014.html

(25) ينظر: صور من رحلة الكلمات العربية إلى الفرنسية– تقديم وترجمة وتعليق أ.د. عبد العلي الودغيري، مجلة اللسان العربي، السنة 2011 العدد 49

(26) اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة، قراءة في مجموعة من دراسات المستشرقين– حامد ناصر الظالمي، مجلة العميد ص 383– 384

(27) المسالك والممالك– الإصطخري ص 192، وقد قدّر أندريه ميكيل طول جبل القبق بـ (2800 كم) تفسيراً لما ذكره ابن الفقيه من أن طوله خمسمائة فرسخ. ينظر: جغرافية دار الإسلام البشرية 2/ 19–20

(28) صورة الأرض– ابن حوقل 2/ 348– 349

(29) المسالك والممالك للإصطخري ص 63

(30) المرجع السابق ص 83، وذكر ابن حوقل كلاماً يكاد يطابق ما ذكره الإصطخري. ينظر: صورة الأرض 2/ 289

(31) العرب في التاريخ– برنارد لويس ص 174– 175